بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.

الحمد لله الذي خصنا بالرسول المكي المدني الذي جعله خير عبادة من مخلوقاته، والحمد لله الذي خص من عباده من شاء بما شاء من الرسالات وأضفى على ذواتهم إجلالا، وعلى أخلاقهم جمالاً وبهاءً، وعلى اتباعهم فوزًا وفلاحًا. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، الذي أدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الغمة، وبين للناس ما نُزِّل إليهم من رب العالمين، والقائل "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين".

وبعد شرف ما بعده شرف ونور على نور أن أكتب عن السنة النبوية المطهرة التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى إذ هي مفسرة للقرآن موضحة لمعناه، مبينة لمشكله، معللة لمحكمه، منفردة بأحكام وتشريعات ومن هنا أوجب الله تعالى اتِّباعها والعمل بها. لما كانت الاتهامات والشُبه تتواصل في النيل من مكانة السنة، وزعزعة منزلتها وتشكيك المسلمين في محبتها، وفي الاعتماد عليها كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، كذلك ظهور قضية التقول بعدم كتابة السنة وتوثيقها في عهد النبي (ﷺ) والتهوين من جهود الصحابة في حفظ السنة وإعدادها لتكون مصدرًا هامًا بعد كتاب الله للتشريعات والأحكام؛ رأيت أنَّ تناول دور الصحابة في تدوين السنة النبوية وتوثيقها أمرًا يحتاج إلى إبراز وتوضيح لبيان مدى اهتمام الصحابة بتأصيل الأحكام والتشريعات. وأيضًا لإبراز أهمية التوثيق المبكر للسنة النبوية المشرفة

وكان ذلك مدفوعًا بجهد وحرص لعدم التقليل من الدور الشامل للسنة النبوية، وأيضًا إبراز دور البحوث العلميـة التي ينبغي أن تقوم بواجب الدفاع عن السنة وكشف زيف الافتراءات التي تناط بدراستها عند أعدائها.

الدراسات السابقة: بخلاف اهتمام العلماء الأوائل فـي مناقشة قضايا تدوين وتوثيق السنة النبوية كما عند ابن سعـد في الطبقات الكبرى حيث تناول لعدد كبير من رسائل الرسول (ﷺ) للملوك والأفراد والقبائل إلى جانب الصحائف المتعددة لصـحابة الرسول (ﷺ) أثناء الترجمة عنـهم، والإمام أبي عبد الله الأنصاري وكـتابة المصـباح المضيء في كُتَّـاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض، حيث تعرض لعدد من الرسائل والكتب إلى مختلف الحكم والأفراد، والإمام الصالحي في كتابه سبل الهدى والرشاد حيث أورد كتب ورسائل الرسول (ﷺ) إلى الملوك والأفراد في ستة وأربعين كتـابا. وأن هناك طائفة من الباحثين الجادين قد أسهموا إلى جانب هذا الجهد الطيب منهم: العلامة محمد حميد الله في كتابه القيم "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" فقد أورد ما يقارب من ثـلاثمائة وثيقة من كتـب ورسائل الرسول (ﷺ) للملوك والأفراد والقبائل، وأيضًا تحقيقه لصحيفة همام ابن منبه عن أبي هريرة، وعلي حسين علي وكتابه العظيم "مكاتيب الرسول" حـيث أورد عدد ثلاثمائة وستة عشر كتابا ورسالة إلى مختلف أقطار العـالم، وقد تناولها بالشرح والتفصيل. هذا إلى جانب العدد الكبير من علماء الأمـة الإسلامية الذين تناولوا صحائف وكتب الصحابة (رضي الله عنهم) في توثيق الحـديث الشريف ومنهم: عجاج الخطيب وكتابه "السنة قبل التدوين"، والدكتور امـتياز أحمد في كتابه "دلائل التوثيق المكبر للسنة والحديث"، والعلامة بكر أبو زيـد في كتابه القيم "معرفة النسخ والصحف الحديثية"، والأستاذ أحمد الصويان وكتابه العظيم "صحائف الصحابة"، والعلامة رفعت فوزي وتحقـيقه لصحيفتي "علي بن أبي طالب" و"همام بن منبه"، والأستاذ علي حسين عبد الحميد وتحقيقه لصحيفة "همام بن منبه". وغير هؤلاء الكثير والكثير ممـا أثبتُّه في حواشي الكتاب عند الاستفادة منهم. إلا إنني رأيت أن جـانب إظهار دور الصحـابة (رضي الله عنهم) في

تدوين وتوثيق السنة النبـوية، لم يأخذ حظه الذي ينبغـي أن يكون عليه في الاستقلال لبـيان هذا الدور، مع إظهار قضية التـوثيق والتدوين الفعلي للسنة النبوية المشرفة. فرأيت إفساح مجال البحث إلى تعميق هذه الجزئية والوصول بها إلى الاقتناع الكافي بالحجج والبراهين بأن السنة قد دونت ووثقت منذ عهد النبي (ﷺ) وأن للصحابة دورًا هامًا في ذلك.

منهج الدراسة:

أعتـمد في كـتابي على ثلاثة مناهج وهي الاسـتنباطي والتـاريخي والاستقرائي. حيث رجعت إلى مدونات السنة النبوية لأثبت من خلال مكاتبات الرسول (ﷺ)، ومن خلال صحائف وكتب الصحابة (رضي الله عنهم) والتي تثبت صحة ما قدمته في الكتاب من أن السنة النبوية قد دونت ووثقت في وقت مبكر من حياة الرسول (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم). وقد تناولت لبيان وإثبات ذلك أربعمائة وثيقة من كتب ورسائل الرسول (ﷺ) إلى الأقطار المختلفة من بلاد العالم، هذا إلى جانب أربعين صحيفـة من صحائف وكتب الصحابة (رضي الله عنهم) حوت السنة النبوية مـوثقة بين طياتها. وأزعم أن هذا الكم الهائل والضخم والكبـير من الكتب والصحف والرسائل لم يذكـره أحد قبلي بتلك الصفة وهذه الكثرة، وقد تناولتها بشيء من الشرح والاختصار وذلك حتى لا يخرج كتابي عن طبيعته.

والله، أسأل أن يهـديني إلى الخير، والحمد لله رب الـعالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ جمال محمود خلف

في ١ رمضان ١٤٢٨هـ

obeikandl.com

تمهيد

أولاً: مفهوم ومدلول السنة النبوية .

ثانيًا: مفهوم ومدلول الحديث الشريف.

ثالثًا: مكانة السنة في الإسلام.

رابعًا: حجية السنة وأدلة الاحتجاج بها.

خامسًا: أعداء السنة في الماضي والحاضر والمستقبل.

obeikandi.com

أولاً: مفهوم ومدلول السنة

يختلف مفهوم ومدلول السنة عند العلمـاء، تبعًا لاختلاف الأغراض التي اتجهوا إليها في أبحاثهم وفي علومـهم، وسوف أتناول مفهوم ومدلول السنة عند كل طائفة، كما يلي:

• السنة عند علماء اللغة:

تطلق السنة في اللغة على عدة معان منها:

١- السنة بمعنى الطريقة والسيرة، قال ابن منظور: السنَّة[١]: الطريقة وقال الرازي: السنة لغة هي الطريقة والسيرة سواء كانت محمودة أم مذمومة[٢].

٢- السنة بمعنى المثال المتبع والإمـام المؤتَّم به، قال ابن منظور: سنَّ فلان طريقًا مـن الخير يَسُنّه: إذا ابـتدأ أمرًا من البـر لم يعرفـه قومـه، فاستَـسنّوا به وسلكوه، وقال: وكل من ابتدأ أمرًا عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنَّه[٣].

٣- السنة بمعنى الطبيـعة (أي السجـية) قال ابن منظور وبهذا المعنى فـسر بعضهم قول الأعشى.

كريم شمائله من بني معاوية الأكرمين السنن[٤]

٤- السنة بمعنى الـرعاية، قـال ابن منـظور: «ومن ذلك قـولهم: سننت

---

(١) ابن بمنظور: لسـان العرب: مـادة (سنن): ط / دار إحيـاء التراث العـربي سنة / ١٩٩٩م.

(٢) الرازي: مختار الصحاح: (مادة سنن): ط / مكتبة لبنان سنة / ١٩٩٥.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: (مادة سنن).

(٤) ابن منظور: لسان العرب: (مادة سنن).

الإبل: أي أحسنت رعيتها والقيام عليها»[1].

٥- السنة بمعنى النهج، قال ابن منظور: و"خدعك سنن الطريق"[2]. فالسنة تدور معانيها حول الطريقة والسيرة والمثال المتبع، والطبيعة والرعاية والنهج.

وللسنة معاني كثيرة أخرى موجودة في كتب اللغة.

• السنة عند علماء الحديث:

فعلماء الحديث إنما بحثوا في حياة رسول الله (ﷺ) وكل ما يتصل بها من سيرة، وخلق، وشمائل، وأخبار، وأقوال، وأفعال سواء أثبت ذلك حكمًا شرعًا أم لا[3]. وقد عرَّفوا السنة بأنها: كل ما أثر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خُلُقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء، أم بعدها[4]. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث

---

(١) المصدر نفسه: (مادة سنن).

(٢) المصدر نفسه: (مادة سنن).

(٣) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث ص ١٨ ط / دار المعارف - القاهرة- سنة / ١٩٨٨.

(٤) الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي جـ١، ص١، ط/ المكتب الإسلامي بيروت سنة / ١٩٩٢م.

- محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١٦ ط / دار الفكر بيروت. سنة ١٩٨١م.

- رفعت فوزي عبد المطلب : توثيق السنة في القرن الثاني الهجري ص ١٧ ط / مكتبة الخانجي: مصر سنة / ١٩٨١م.

- محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون ص ١٠ ط / دار الكتاب العربي. بيروت: سنة / ١٩٨٤م.

- أمين أبو لاوي: علم أصول الجرح والتعديل ص١٦ ط / دار ابن عفان السعودية. سنة / ١٩٩٧م. =

النبوي[1]. وهذا ما أميل إليه.

• السنة عند علماء أصول الفقه:

جاءت السنة عند علماء أصول الفقه مصدرًا من مصادر التشريع، ولهذا نظروا إلى رسول الله (ﷺ) من حيث إنه مُشرِّع يبين للناس دستور الحياة ويضع القواعد للمجتهدين من بعده.

ولذلك عرفوا السنة بأنها: كل ما صدر عن النبي (ﷺ) غير القرآن الكريم، من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي [2].

• السنة عند علماء الفقه:-

علماء الفقه إنما بحثوا في سنة رسول الله (ﷺ)، حيث تدل أفعاله على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبًا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك[3]. فعلماء الفقه بحثو في الأحكام الشرعية.

= - عبد المهدي عبد القادر: السنة النبوية ص ١١ط / دار الاعتصام. القاهرة سنة / ١٩٨٩م.

(١) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث ص١٩.

(٢) عباس متولي حماده: السنة النبوية ص ٢١ ط / الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة بدون تاريخ.

- إبراهيم على آل كليب: مهمات علوم الحديث ص ١٢ ط / دار الوراق السعودية بدون تاريخ.

- خالد بن محمد علي الحاج: السنة مفتاح الجنة ص٣٠ ط / دار العلوم بيروت سنة/ ١٩٨٣م.

- محمد سعيد منصور: منزلة السنة من الكتاب ص٨٢ ط / مكتبة وهبة سنة / ١٩٩٣م.

- عبد الغني عبد الخالق؛ حجية السنة ص٦٨ ط / دار الوفاء المنصورة سنة / ١٩٩٣م.

(٣) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص١٥، ١٦.

ولذلك عرفوا السنة بأنها: كل ما ثبت عن النبي (ﷺ)، ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[1].

والفقهاء يستعملون مصطلح "سنة" بمعنى آخر في كتبهم وهو: ما قابل الفرض الواجب، فهي ترادف المندوب، والمستحب، والتطوع، والنافلة، والمرغب فيه، والحسن، وهذا تقسيم من حيث الثواب والعقاب، ولهذا يقولون فيه أيضًا: "ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه"[2]. وبذلك يتسع مدلول السنة عند علماء الفقه إلى جانب الأحكام الشرعية أيضًا من حيث الثواب والعقاب.

• السنة عند علماء الدعوة والإرشاد:

أما علماء الدعوة والإرشاد، هم أولئك الذين يعنيهم أن يردوا الناس إلى المنهج الإسلامي بنقائه وأصالته، وبعد أن ينفوا عنه الدخيل من الأهواء والبدع[3]. ولهذا فإن السنة عندهم يعرفونها بقولهم: السنة ضد البدعة، فكل ما جاء على غير السنة ولا مندرجًا تحت توجيهاتها فهو البدعة المردودة[4].

---

(١) محمد الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي جـ١، ص٢.

- محمد سليمان الأشقر: أفعال الرسول جـ١ ص ١٩، ط / مؤسسة الرسالة بيروت سنة / ١٩٩٦م.

(٢) عبد المهدي عبد القاجر: المدخل إلى السنة النبوية ص ٢٣، ط / دار الاعتصام. القاهرة، سنة / ١٩٩٨م.

(٣) محمد الأحمدي أبو النور: شذرات من علوم السنة ص٤٣، ط مطبعة نهضة مصر، القاهرة، سنة /١٩٨٦م.

(٤) محمود أحمد حسين: السنة النبوية وبيانها للقرآن الكريم ص١٢، ط / دار القبلة للثقافة الإسلامية. السعودية سنة / ١٩٩٠م.

- موسى إبراهيم الإبراهيم: تأملات منهجية في تاريخ السنة وأصول الحديث =

• السنة النبوية في القرآن الكريم:

لقد ذكرت السنة النبوية في القرآن الكريم مرات كثيرة ومتعددة.

١) ذكرت بلفظ الحكمة: قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[١]. وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾..[٢].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾..[٣].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[٤].

وقوله عز وجل ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾..[٥].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[٦].

قال الشافعي: «فلم يُجز - والله أعلم - أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله. وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله،

= ص ١٤، ط / دار الثقافة. قطر، سنة / ١٩٩٢م.

- يوسف القرضاوي : المدخل لدراسة السنة النبوية ص١٣، ط/ بدون تاريخ.

(١) سورة النساء: الآية: ١١٣

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٥١

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٦٤

(٤) سورة الجمعة: الآية: ٢

(٥) سورة الأحزاب: الآية: ٣٤

(٦) سورة البقرة: الآية: ١٢٩

obeikandl.com

وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقولٍ: فرضٌ إلا لكتاب الله ثم سنةِ رسوله"[1].

وهذا هو الذي أرجحه وأميل إليه لأن العقل والواقع يدلان على أن الحكمة هي السنة.

ولذلك قال إبراهيم الخولي: "والحكمة بهذا المفهوم - لا يوجد ما تنطبق عليه في تراث المسلمين سوى سنة رسول الله (ﷺ)"[2].

وقد وردت الحكمة في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الأول : بمعنى النبوة والرسالة: قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[3].

الثاني : بمعنى القرآن والتفسير والتأويل، وإصابة القول فيه، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[4].

الثالث : بمعنى فهم الدقائق والفهم في الدين. قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾[5]. أي فهم الأحكام.

الرابع : بمعنى الوعظ والتذكير. قال ـ تعالى ـ : ﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[6]. أي المواعظ الحسنة.

---

(١) الشافعي: الرسالة، بتحقيق أحمد محمد شاكر: ص٧٨ ط / دار التراث، سنة / ١٩٧٩م.

(٢) إبراهيم الخولي: السنة بيانًا للقرآن ص٣٢ ط / دار الطباعة الحديثة. سنة / ١٩٩٣م.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٥١

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٦٩

(٥) سورة مريم: الآية: ١٢

(٦) سورة النساء: الآية: ٥٤

الخامس: بمعنى آيات القرآن وأوامره ونواهيه: قال ـ تعالى ـ : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [1].

السادس: بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة. قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [2] أي قولاً يوافق العقل والشرع والله سبحانه وتعالى علَّم رسوله دينه كما أراد سبحانه، فعلَّم الرسول (ﷺ) أمته دين الله كاملاً بفعله وقوله وإقراره.

٢) **وذكرت السنة في القرآن بلفظ (شرعة)** ففي قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [3]. قال ابن عباس رضى الله عنهما: سنة وسبيلاً، وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك[4].

٣) **وذكرت السنة في القرآن بلفظ (شريعة)** قال ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [5].

٤) **وذكرت السنة في القرآن بأساليب أخرى**، منها.

- الأمر بطاعته (ﷺ) : قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [6].

- ومنها قبول أمره ونهيه (ﷺ) كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [7].

---

(١) سورة النحل: الآية: ١٢٥

(٢) سورة لقمان: الآية: ١٢

(٣) سورة المائدة: الآية: ٤٨

(٤) عبد المهدي عبد القادر: المدخل إلى السنة النبوية ص٢٠

(٥) سورة الجاثية: الآية: ١٨

(٦) سورة النساء: الآية: ٥٩

(٧) سورة الحشر: الآية: ٧

obeikandl.com

-**ومنها القبول والتسليم لقضائه** (ﷺ) كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

-**ومنها التحذير عن مخالفته** (ﷺ) كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

-**ومنها وجوب اتباعه** (ﷺ) ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

وما على الأمة الإسلامية إلا قبول السنة النبوية والعمل بما فيها بكل رضى وطواعية، وسوف أُفصِّل القول في الفصل الخاص باتباع الصحابة لسنة الرسول (ﷺ) ، وتطبيقهم لها في كل أحوالهم.

ثانياً: مفهوم ومدلول الحديث

أ- الحديث عند علماء اللغة:

ورد لفظ الحديث في اللغة على معان عدة أهمها ما يلي:

(١) الحديث: ما يتحدث به وينقل، ومنه حديث رسول الله (ﷺ) (٤). ومن شواهد هذا المعنى الآيات الكريمة التالية.

---

(١) سورة النساء: الآية: ٦٥

(٢) سورة النور: الآية: ٦٣

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٥٨

(٤) الفيومي: المصباح المنير: مادة حدث ص٧٨ ط / دار الحديث. القاهرة سنة / ٢٠٠٠م.

- قال ـ تعالى ـ : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [1].

- وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [2].

- وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [3].

٢) الحديث: الخبر قليله وكثيره، وجمعه (أحاديث) على غير القياس[4].

ومن شواهد هذا المعنى الآيات الكريمة التالية.

- قال ـ تعالى ـ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [5].

- وقال ـ تعالى ـ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [6].

- وقال ـ تعالى ـ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [7].

٣) الحديث: الجديد من الأشياء[8].

ومن ذلك قولنا: هذا بناء حديث (أي جديد).

٤) الحديث: بمعنى المثل والعبرة[9].

ومن شواهد هذا المعنى قول الله عز وجل ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [10]

---

(١) سورة الأنعام: الآية: ٦٨

(٢) سورة الأحزاب: الآية: ٥٣

(٣) سورة التحريم: الآية: ٣

(٤) الرازي: مختار الصحاح: (مادة حدث).

(٥) سورة طه: الآية: ٩

(٦) سورة الذاريات: الآية: ٢٤

(٧) سورة البروج: الآيتان: ١٧، ١٨

(٨) ابن منظور: لسان العرب: مادة (حدث).

(٩) أمين بن لاوي: علم أصول الجرح والتعديل ص١٠

(١٠) سورة سبأ: الآية: ١٩

(٥) الحديث: بمعنى التبليغ[١]. قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢]. أي بلغ ما أرسلت به[٣].

فمصطلح لفظ الحديث يدور عند علماء اللغة حول ما يُنقل ويتحدث به مثل حديث رسول الله (ﷺ) ، ويطلق أيضا على الخبر، والجديد من الأشياء والمثل والعبرة والتبليغ.

ب- الحديث في اصطلاح المحدثين:

هو ما أثر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة، سواء أكان قبل البعثة أو بعدها[٤]. فالتعريف يشمل ما أثر عن الرسول (ﷺ) قبل البعثة وبعدها.

ج- الحديث في اصطلاح الأصوليين:

هو ما يروى عن الرسول (ﷺ) بعد النبوة من قول أو فعل أو تقرير[٥].

---

(١) مناع القطان : مباحث في علوم الحديث ص٧، بدون تاريخ.

(٢) سورة الضحى: الآية ١١

(٣) ابن منظور: لسان العرب مادة (حدث).

(٤) رفعت فوزي عبد المطب: توثيق السنة في القرن الثاني الهجري ص١٩

- مناع القطان: مباحث في علوم الحديث ص٧

- عبد الرحمن عتر: معالم السنة النبوية ص٢٣ ط/ مكتبة المنار - الأردن سنة /١٩٩٢م.

- بدران أبو العنين بدران : الحديث النبوي الشريف ص٥ ط / مؤسسة شباب الجامعة -

الإسكندرية سنة / ١٩٨٣م.

- مبارك الدعيلج: الوضع في الحديث ص٢٠ ط / بدون سنة ٢٠٠٠م.

(٥) مناع القطان: مباحث في علوم الحديث ص٧

وبهذا فالتعريف لا يتناول إلا ما كان بعد البعثة، أما ما كان قبلها لا يكون حديثًا، لأن القصد من الحديث العمل بما جاء به، وهذا لا يكون إلا بعد النبوة

د- الحديث القدسي:

الحديث القدسي، ويقال الحديث الإلهي هو "الحديث الذي يصرح النبي (ﷺ) نسبته إلى الله عز وجل ، أو هو الحديث الذي يسنده النبي (ﷺ) إلى الله عز وجل ، أو هو الحديث الذي يرويه النبي (ﷺ) عن ربه عز وجل ، ويسمى قدسيًا نسبة إلى القدس، وهو الطهارة وتنزيه الله تعالى-"[1].

فالحديث القدسي معناه من الله - تعالى- واللفظ من الرسول (ﷺ) .

فالفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم كما يقول القاسمي: "القرآن معجزة باقية على ممر الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه لمحدث، وتلاوته لنحو الجنب، وروايته بالمعنى، وبتعينه في الصلاة وبتسميته قرآنًا وبأن كل حرف منه بعشر حسنات وبتسمية الجملة منه آية وسورة، وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك"[2].

والحديث القدسي ليس بمعجز ولا متعبد بتلاوته، وتصح نسبته عند روايته إلى الله أو إلى الرسول (ﷺ) .

هـ- الخبر والأثر:

الخبر والأثر لفظان مترادفان بمعنى الحديث، فيطلق الخبر ويراد به ما

---

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الخميسي: معجم علوم الحديث النبوي ص٩١ ط / دار ابن حزم. بيروت لبنان سنة / ٢٠٠٠م.

- بكري أمين: أدب الحديث النبوي ص١٦ ط / دار الشروق بيروت لبنان سنة / ١٩٧٩م.

(٢) محمد جمال الدين القاسمي : قواعد التحديث ص٦٥ ط / دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة / ١٩٧٩م.

النبي (ﷺ) ويعرف بالمرفوع، وما أضيف إلى الصحابة ويعرف بالموقوف، وما أضيف إلى التابعين ويعرف بالمقطوع، وهذا رأي جمهور المحدثين"[1].

فإذا أطلق لفظ الحديث، فإنه يختص بالرسول (ﷺ)، أما الأثر أو الخبر فقد يتعلق بالرسول (ﷺ) أو الصحابة أو التابعين.

ثالثًا: مكانة السنة في الإسلام:

القرآن والسنة مصدران تشريعيان متلازمان، فلا يمكن لمسلم أن يفهم الإسلام إلا بالرجوع إليهما معًا، ولا غنى لمسلم عن أحدهما، قال تعالى- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2].

يقول القرطبي في تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي رُدُّوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسؤال في حياته، أو بالنظر في سنته بعد وفاته (ﷺ)، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة، وهو الصحيح، ومن لم يَرد هذا اختل إيمانه لقوله - تعالى - : ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[3]. فمكانة السنة النبوية إذن رفيعة عظيمة، ولها قوة تشريعية ملزمة.

وتقوم السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بالوظائف التالية:

---

(١) مبارك الدعيلج: الوضع في الحديث ص٢٢

- محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث ص٢٧-٢٨

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ٥ ص٢٦١ ط / دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان، سنة / ١٩٩٥م.

١) السنة مبينة للقرآن الكريم:

تقوم السنة النبوية بوظائف متعددة، منها أن تكون مبينة للقرآن الكريم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

فوظيفة الرسول (ﷺ) أن يبين للناس ويفصل ويشرح ما أجمل وأشكل عليهم، من ذلك: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ويُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٢].

أخرج البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: "يكشفُ ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة" ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً فيذهب ليسجد، فيعود ظهرُهُ طبقًا واحدًا[٣].

فلقد بين الرسول (ﷺ) المراد بمفهوم لفظ ساق في الآية وبين حال المنافقين أمام الله بأنهم لا يستطيعون السجود.

٢) السنة مثبتة لما جاء به القرآن:

وكم أن السنة النبوية جاءت مبينة للقرآن، جاءت كذلك مثبتة للقرآن الكريم.

أخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" قال: ثم قرأ: ﴿"وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل: الآية: ٤٤

(٢) سورة القلم: الآية: ٤٢

(٣) البخاري: الصحيح: (كتاب التفسير: باب "يوم يكشف عن ساق" رقم /٤٩١٩).

(٤) البخاري: الصحيح (كتاب التفسير: باب قوله "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى. . " رقم / ٤٦٨٦).

فجاءت السنة مثبتة للآية الكريمة بأن الله- تعالى- لا يترك الظالم بل يمهله فإذا أخذه لم يفلته.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى قال: فذاك لك. ثم قال رسول الله (ﷺ): اقرؤوا إن شئتم. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (١).

فجاءت السنة مثبتة ومؤيدة للمعنى الذي ورد بالآية وهو العقاب الشديد لقاطع الرحم.

٣) السنة مفصلة لما جاء مجملاً بالقرآن الكريم:

قد تأتي الآيات في القرآن مجملة فتأتي السنة لتفصّل هذا الإجمال من ذلك:

أ- قال ـ تعالى ـ : ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (٢).

فالآية الكريمة لم تبين عدد الصلوات ولا كيفيتها ولا أوقاتها ولا فرائضها من واجباتها من سننها، فجاءت السنة النبوية فبينت كل ذلك، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين، وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوِّبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم

---

(١) البخاري الصحيح : (كتاب التفسير: باب "وتقطعوا أرحامكم" رقم / ٣٨٣٠).
- مسلم: الصحيح: (كتاب البر والصلة والأدب: باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها: رقم ٢٥٥٤).

(٢) سورة البقرة: الآية: ٤٣.

يسجد حتى يستوى قائمًا، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوى جالسًا، وكان يقول في كل ركعتين التحية، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عُقبةِ الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعية افتراش السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم"[1].

وكذلك لم تبين آيات القرآن الكريم متى تجب الزكاة؟ وأنصبتها ومقدار ما يخرج فيها وفي أي شيء تجب؟ فجاءت السنة وبينت كل ذلك. ومن هذه الأحاديث ما يلي:

أخرج البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "ليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذودٍ صدقة، وليس فيما دون خمس أوسقٍ صدقة"[2].

فبينت السنة مقدار ما تجب فيه الزكاة.

ب- وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[3].

فهذه آية مجملة لم تبين مناسك الحج فجاءت السنة مفصلة لذلك الإجمال.

فقد أخرج البخاري عن زيد بن جبير قال أتيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في منزله وله فُسطاطُ وسرادقُ فسألته من أين يجوز أن أعتمر؟ قال: فرضها رسول الله (ﷺ) لأهل نجد قرنًا، ولأهل المدينة، ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة"[4].

---

(١) مسلم: الصحيح: (كتاب الصلاة: باب ما يجمع صفة الصلاة رقم / ٤٩٨).

(٢) البخاري: الصحيح (كتاب الزكاة : باب ما أُدى زكاته فليس بكنز رقم / ١٤٠٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية : ٩٧

(٤) البخاري: الصحيح (كتاب الحج: باب مواقيت الحج والعمرة رقم / ١٥٢٢).

obeikandi.com

وبذلك بينت السنة المواقيت المكانية للحج والعمرة مما لم تبينه الآية القرآنية.

ج- وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1].

فهذه آية مجملة لا تتضح منها الأحكام التفصيلية للصيام، فجاءت السنة مبينة وشارحة ومفصلة لهذا الإجمال من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): " **تسحروا فإن في السحور بركة**"[2].

فقد بينت السنة أن الصيام يتطلب السحور. وهناك موضوعات جاءت مجملة في القرآن فصلتها السنة، من هذه الموضوعات الجهاد والمعاملات وغيرهما.

٤) السنة تزيل وتوضح الأشكال:

وهو أن تكون في القرآن الكريم آيات مشكلة ومتعارضة في ظاهرها مع آيات أو أحاديث أخرى، فتأتي السنة مزيلة وموضحة هذا الإشكال. مما يتضح في الأمثلة الآتية:

أ- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة: أن رسول الله (ﷺ) قال "ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك"، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟[3] فقال رسول الله (ﷺ): "إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب"[4]. فقد أزالت السنة النبوية الإشكال وبينت الحال

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣

(٢) مسلم: الصحيح: (كتاب الصيام: باب فضل السحور رقم / ١٠٩٥).

(٣) البخاري: الصحيح (كتاب الرقاق: باب من نوقش الحساب عُذِّب: رقم / ٦٥٣٧).

(٤) مسلم: الصحيح (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب إثبات الحساب: رقم / ٢٨٧٦).

والموقف في العرض يوم القيامة والحال والموقف في مناقشة الحساب.

ب- قال ـ تعالى ـ: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] يقول علي حشيش: "هذه الآية يتوهم من لا دراية له بالسنة أنها متعارضة مع واقع أمة محمد (ﷺ) فالأمة متأخرة زمانًا فكيف تتحقق لها الوسطية والشهادة على الأمم السابقة وتأتي السنة وتزيل هذا الإشكال"[2].

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): "يجيء نوح وأُمّته فيقول الله ـ تعالى ـ: هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب. فيقول لأمّته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبيٍّ، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد (ﷺ) وأمته، فتشهد أنه قد بلغ وهو قوله جلّ ذكره: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[3][4].

وبذلك أزالت السنة الإشكال الذي يتوهم في حكم القرآن لها بالوسطية مع أنها متأخرة زمانًا، فجاءت السنة وبينت أن الوسطية هي الشهادة على الأمم السابقة بأن رسلهم بلّغوا أقوامهم.

٥) السنة تخصص العام:

وذلك بأن يكون في القرآن الكريم آيات عامة وتأتي السنة مخصصة لهذا العموم.

أ- قال ـ تعالى ـ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٤٣

(٢) على إبراهيم حشيش: المدخل إلى علوم الحديث ص٢٦٥، ط مكتبة الإيمان - المنصورة، سنة ١٩٩٧م.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٤٢

(٤) البخاري: الصحيح: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قوله عز وجل "ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، رقم ٣٣٣٩".

(٥) سورة المائدة: الآية: ٣

obeikandi.com

فلقد جاءت السنة وخصصت هذا التحريم. أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي يعفور قال: سمعت ابن أبي أوفى - رضى الله عنهما- قال: غزونا مع النبي(ﷺ) سبع غزوات - أوستا - كنا نأكل معه الجراد"[1].

وأخرج مسلم في صحيحه في باب إباحة ميتات البحر عن جابر قال: بعثنا رسول الله(ﷺ) وأمَّر علينا أبا عبيدة، نتلقى عيرًا لقريش قال وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميتةٌ، ثم قال: لا، بل نحن رُسُلُ رسولِ الله(ﷺ) ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال فأقمنا عليه شهرًا . فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله(ﷺ) فذكرنا ذلك له، فقال: "**هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟**" . قال: فأرسلنا إلى رسول الله(ﷺ) منه فأكله[2].

وبذلك يتبين أن السنة النبوية خصصت ما جاء عامًا في الآية الكريمة.

ب- قال ـ تعالى ـ : ﴿**ولأَبَوَيْه لكُلِّ واحد مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إن كَانَ لَهُ ولَدٌ فَإن لَّمْ يَكُن لَّهُ ولَدٌ وورِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّه الثُّلُثُ**﴾[3] .

فظاهر الآية يفيد أن كل مولود يرث والده فجاءت السنة بأن المراد ذلك مع اتفاق الدين بين الوالدين والمولودين فخصصت ما جاء عامًا.

أخرج البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما- أن النبي(ﷺ) قال: "**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**"[4].

---

(١) البخاري: الصحيح (كتاب الذبائح، والصيد: باب أكل الجراد رقم / ٥٤٩٥).
- مسلم: الصحيح : (كتاب الصيد والذبائح: باب إباحة الجراد رقم / ١٩٥٢).

(٢) مسلم: الصحيح (كتاب الصيد والذبائح: باب إباحة ميتات البحر رقم / ١٩٣٥).

(٣) سورة النساء: الآية: ١١

(٤) البخاري: الصحيح (كتاب الفرائض: باب لا يرث المسلم الكافر رقم / ٦٧٦٤) .

٦) السنة تقيد المطلق:

وهو أن تكون في القرآن الكريم آيات مطلقة، فتأتي السنة مقيدة لهذا الإطلاق. ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

يقول على حشيش: "لإقامة هذا الحد الذي أمرنا بإقامته، نحتاج إلى معرفة أمرين اثنين: الأول: ما هو المقدار الذي إذا أخذه السارق تقطع يده؟ أي ما هو نصاب السرقة؟ والثاني: أن قطع اليد لم يقيد في هذه الآية بموضع خاص، بل أطلق وعلى هذا الإطلاق يجوز القطع من المنكب، أو من المرفق، أو من مفصل الكف، لإطلاق اليد على كل هذا. ولكن السنة بينت ذلك" (٢).

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة - رضى الله عنها- عن النبي (ﷺ) قال "تقطع يد السارق في ربع دينار" (٣). وبذلك فقد حدد الحديث الشريف نصاب السرقة التي تقطع اليد فيه.

وقد بينت السنة الفعلية عن رسول الله (ﷺ) أن موضع القطع للكف قال البخاري في كتاب الحدود باب قوله تعالى: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: وقطع عليٌّ من الكف.

٧) السنة تأتي بأحكام مستقلة سكت عنها القرآن:

لقد أذن الله لرسوله (ﷺ) أن يشرع لأمته أحكامًا باجتهاده، وأوجب الله على الأمة طاعة النبي فيما أمر به ونهى عنه، وبين الله لنا أن النبي (ﷺ) مسدد بالوحي وأنه لا ينطق عن الهوى.

---

(١) سورة المائدة: الآية : ٣٨

(٢) على بن إبراهيم حشيش: المدخل إلى علوم الحديث. ص ٢٧٩-٢٨٠

(٣) البخاري: الصحيح : (كتاب الحدود: باب قوله تعالى "والسارق والسارقة أيديهما" رقم/ ٦٧٩٠).

قال ـ تعالى ـ : ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (١).
وقال ـ تعالى ـ : ﴿وما يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وحْيٌ يُوحَى﴾ (٢).

وما أكثر الأحكام التي شرعتها السنة ابتداء ومنها.

أ- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو بين المرأة وخالتها.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله (ﷺ) قال: "لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها" (٣).

فجاءت السنة بحكم مستقل وهو تحريم جمع الرجل في الزواج بين المرأة وعمتها أو بين المرأة وخالتها.

ب- قتل المرتدين: أخرج البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: أتى عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كُنتُ أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله (ﷺ) : "لا تعذبوا بعذاب الله" ولقتلتهم لقول رسول الله (ﷺ) "من بدل دينه فاقتلوه" (٤).

فكان تحريم الإحراق بالنار للمرتدين وإنما قتلهم حكمًا مستقلاً سكت عنه القرآن وأتت به السنة النبوية.

وبذلك يتضح أهمية ومكانة السنة النبوية ومدى الحاجة الملحة والشديدة إليها، وأنها أصل من أصول الدين الإسلامي لا يمكن بل يستحيل تركه، ولذا فقد فهم السلف هذا المعنى فعملوا على تثبيته وإقراره في النفوس، وحاربوا كل الزوابع والتيارات التي واجهت السنة من أجل النيل منها.

---

(١) سورة الحشر: الآية: ٧

(٢) سورة النجم: الآيتان: ٢، ٣

(٣) البخاري: الصحيح: (كتاب النكاح: باب لا تنحكم المرة على عمتها: رقم / ٥١٠٩)

(٤) البخاري: الصحيح (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم: باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم برقم ٦٩٢٢).

رابعاً: حجية السنة وأدلة الاحتجاج بها:

لقد أجمع المسلمون المتقدمون منهم والمتأخرون، على أن السنة النبوية حجة في الدين، سواء ما كان منها على سبيل البيان أم على سبيل الاستقلال.

قال محمد أبو شهبة نقلاً عن الإمام الشوكاني: "إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظَّ له في الإسلام"[1].

فالسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، تثبت بها جميع الأحكام: من حلال، وحرام، ومندوب، وواجب. لذا يجب اتباعها كما يجب اتباع القرآن الكريم.

وقد ذكر السيوطي قولاً جميلاً للبيهقي: قال "لولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال (ﷺ) في خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم "**ألا فيبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع**"[2].

وقد دلت على حجية السنة أمور وأدلة كثيرة منها:

أ) عموم آيات القرآن الكريم الدالة على حجية السنة:

تتزاحم الآيات الكثيرة الدالة على حجية السنة النبوية، ولكن قبل ذكرها أذكر قول خليل إبراهيم ملا خاطر. الذي فيه: "إن منكري السنة النبوية الشريفة - كما يزعمون - لا يعتمدون إلا على القرآن الكريم، وقولهم هذا باطل في حقيقته، لأنهم لو اعتمدوا القرآن لا تبعوا السنة النبوية، وعملوا بها واحتجوا

(١) محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة ص١٣ ط / مكتب السنة القاهرة سنة ١٩٨٩م.

(٢) السيوطي: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص٤ ط / دار مصر للطباعة سنة / ١٤٠٢هـ.

openkandil.com

بها، وكانوا من أسبق الناس إلى ذلك، لكن من طمس الله عز وجل بصيرته، وأعمى قلبه، لا ينفع فيه النور، ولا يرى الشمس في رابعة النهار"[1].

وقد ذُكر في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على حجية السنة النبوية. وأذكر بعضًا منها على النحو التالي:

١) آيات تدل على وجوب الإيمان به (الله) وبرسالته وبجميع ما جاء به من عند الله، سواء ورد ذكره في القرآن أم لا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا﴾[2].

* وقوله ـ تعالى ـ: "﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[5].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

---

(١) خليل إبراهيم ملاّ خاطر: شبهات حول السنة ودحضها ص٣٣٨، ط / دار القبلة جدة سنة / ١٩٩١م.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٣٦

(٣) سورة التغابن: الآية: ٨

(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٥٨

(٥) سورة الحشر: الآية: ٧

ورَسُولِه وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً ﴾[1].

٢) آيات تدل على أن الرسول (ﷺ) مبين للكتاب وشارح له شرحاً معتبراً عنده تعالى مطابقاً لما حكم به على العباد، وأنه يعلم أمته الكتاب والحكمة. وهي كما قال الشافعي وغيره - السنة.

* قال - تعالى -: ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

* وقوله - تعالى -: ﴿ومَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وهُدًى ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

* وقوله - تعالى -: ﴿وأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[4].

* وقال - تعالى -: ﴿واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[5].

٣) ما يدل على وجوب طاعته (ﷺ) طاعة مطلقة فيما يأمر به، وينهى عنه، وعلى أن طاعته طاعة الله. وعلى التحذير من مخالفته، وتبديل سنته.

* قال - تعالى -: ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6].

* وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا

---

(١) سورة الفتح: الآيتان: ٨، ٩

(٢) سورة النحل: الآية : ٤٤

(٣) سورة النحل: الآية : ٦٤

(٤) سورة النساء: الآية : ١١٣

(٥) سورة الأحزاب: الآية : ٣٤

(٦) سورة آل عمران: الآية : ١٣٢

obeikandl.com

يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾[1].

* وقوله ـ تعالى ـ: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3].

٤) ما يدل على وجوب اتباعه (ﷺ) في كل ما يصدر عنه، والتأسي في ذلك به، وأن اتباعه لازم لمحبة الله.

* قال الله تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

* وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[5].

* وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[6].

"فهذه الآيات القرآنية تدل على وجوب اتباع سيدنا رسول الله (ﷺ) في كل شيء، وفي كل وقت، في حياته وبعد مماته؛ لأنها آيات عامة لم تخصص

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ٣٢

(٢) سورة النساء : الآية : ٥٩

(٣) سورة الأنفال : الآية : ٢٤

(٤) سورة آل عمران : الآية : ٣١

(٥) سورة الأحزاب : الآية ٢١

(٦) سورة النساء : الآية : ٦٥

بزمن دون زمن»[1].

وهذه الآيات منها ما تدل على وجوب الإيمان به (ﷺ)، ومنها ما تدل على أنه - (ﷺ) - مبينًا للقرآن الكريم وشارحًا له، ومنها ما تدل على وجوب طاعته (ﷺ)، وأن طاعته طاعة الله، ومنها ما تدل على وجوب إتباعه (ﷺ) وهذه الآيات في مجملها وفي عمومها دالة على حجية السنة النبوية.

ب) عموم الأحاديث المثبتة لحجية السنة:

كما دلت الآيات القرآنية الكثيرة على حجية السنة، دلت السنة نفسها على أنها حجة، وضرورة دينية يجب الأخذ بها والالتزام بما جاءت به من أحكام، وحذرت من إنكارها، والأحاديث في ذلك كثيرة، أذكر منها.

١- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم، فوعظنا موعظةً بليغةً وجلت منها القُلوبُ وذرفت منها العيون. فقيل: يا رسول الله! وعظتَ موعظةَ مودِّع فاعهد إلينا بعهد. فقال: "**عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا. وستَرون من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم والأمور المحدثاتِ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**"[2].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: "**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي**" قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: "**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**"[3].

---

(١) محمد بكار زكريا: السنة حجة على جميع الأمة. ص٤٥ ط / دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، سنة / ٢٠٠١م.

(٢) ابن ماجة: السنن: (كتاب السنة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: رقم ٤٢).

(٣) البخاري: الصحيح: (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن رسول الله: رقم ٧٢٨٠).

٣- روى عن مالك رضي الله عنه أنه بلاغًا أن النبي (ﷺ) قال: "تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله"[١].

٤- عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله (ﷺ): "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديثُ عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه. وإنَّ ما حرَّم رسول الله (ﷺ) كما حرَّم الله"[٢].

٥- عن المقدام بن معد بن يكرب رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "ألا إنِّي أُوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معه.."[٣].

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تثبت حجية السنة، وهي أكثر من أن تحصى جاء ذكرها في كُتب السنة المختلفة، وإنما اقتصرت على ما ذكرت للتدليل.

ج)إجماع فقهاء الأمة المثبت لحجية السنة:

يعرف الأصوليون الإجماع بأنه: "اتفاق أهل الحلِّ والعقد من أمة محمد على أمر من الأمور"[٤].

ولذلك "فإن علماء الأمة الإجلاء متفقون اتفاقًا يقينيًا منذ عصر الرسول (ﷺ) حتى يومنا هذا، على وجوب الاحتكام إلى السنة المطهرة، إن تعذر العثور على الدليل في القرآن الكريم، وعدم تجاوزها أبدًا إلى غيرها من الأدلة الأخرى التي أشار إليها القرآن إن وجد الدليل فيها"[٥].

---

(١) مالك: الموطأ بلاغًا (كتاب القدر: باب النهي عن القول بالقدر رقم ٣)

(٢) الترمذي: الجامع: (أبواب العلم: باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث رسول الله: رقم ٢٦٦٤).

(٣) أبو داود: السنن: (كتاب السنة: باب في لزوم السنة رقم ٤٦٠٤).

(٤) خالد بن محمد الحاج: السنة مفتاح الجنة، ص٧٤

(٥) محمد سعيد منصور: منزلة السنة من الكتاب ص١١٨-١١٩

يقول عبد الغني عبد الخالق: "فعلى حجية السنة انعقد إجماعهم، واتفقت كلمتهم، وتواطأت أفئدتهم. وأما الخلاف الذي وقع بينهم كان في أمرين: أولهما، الاقتناع بأن هذا الحديث صح إسناده للنبي (ﷺ) أولم يصح. وثانيهما: إن هذا الحديث أيدل على هذا الحكم، أم لا يدل"[1].

ولذا فإن السنة النبوية المطهرة حجة بإجماع فقهاء الأمة من عصر الصحابة حتى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة.

د) عموم عصمته (ﷺ) تثبت حجية السنة:

إن مما يثبت حجية السنة النبوية عموم عصمته (ﷺ): "فإن رسول الله (ﷺ) معصوم من تعمد ما يخل بالتبليغ إجماعًا بدلالة المعجزة، ومن السهو والغلط فيه على الصحيح، وأن الذاهبين إلى تجويز ذلك عليه: يجمعون على اشتراط التنبيه فورًا من الله ـ تعالى ـ، وعدم التقرير عليه"[2]. وأن عصمة الرسول (ﷺ) إنما هي من مقتضيات الرسالة.

يقول خالد الحاج: "وهذا الدليل ضروري لإثبات حجية السنة، لأن العصمة مقدمة لما بعدها لأن الاستدلال بأقوال النبي (ﷺ) وأفعاله وتقريراته متوقف على عصمته وقد أجمعت الأمة كما قال الآمدي على عصمة الأنبياء من تعمد الكذب في تبليغ الأحكام"[3].

وبذلك يتبين أن عصمته (ﷺ) دليل على حجية السنة.

هـ) العقل والنظر يثبتان حجية السنة:

دل القرآن الكريم على أن رسولنا محمدًا (ﷺ) هو رسول الله (ﷺ) إلى جميع الخلق، وأنه خاتم النبيين، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ

---

(١) عبد الغني عبد الخالق: حجية السنة ص٣٤٢ .

(٢) عبد الغني عبد الخالق: حجية السنة ص٢٧٩ .

(٣) خالد بن محمد الحاج: السنة مفتاح الجنة ص٦٧ .

مِّن رِّجَالِكُمْ ولَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

فالعقل والنظر يبرهنان على أنه يجب على الجميع أن يتبعوه ويتمسكوا بما جاء به (ﷺ)، وينقادوا لتعاليمه كيف لا، وهو رسول الله.

خامساً: أعداء السنة في الماضي والحاضر والمستقبل:

إن منطق أعداء السنة في الماضي هو نفسه في الحاضر هو نفسه في المستقبل، وهدفهم واحد، سواء ممن ينتسبون إلى الإسلام أو غيرهم من أهل الكفر، وقد تبين مما تقدم أن حجية السنة ضرورة دينية، وذلك من خلال أدلة حجيتها بأجلى بيان، وأوضح برهان، بحيث لا يبقى معه في قلب مؤمن شبهة أو شك، لكن ضعاف الإيمان، وضعاف العقول من المسلمين أو من غيرهم يوردون شبهًا يحاولون بها إبطال حجية السنة، وسوف أذكر بعضًا منها، مفندًا باطلها.

يقول الإمام مسلم في صحيحه عن حكاية هذه الشُّبه، وبيان فسادها: "لو ضربنا عن حكايته وذكر فساده صفحًا، لكان رأيًا متينًا، ومذهبًا صحيحًا، إذ الإعراض عن القول المطرح، أحرى لإماتته وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه، غير أن لما تخوفنا من شرور العواقب واغتراب الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين، والأقوال الساقطة، عند العلماء، رأينا الكشف عن فساد قوله ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد أجدى على الأنام وأحمد للعاقبة - إن شاء الله-"[2].

وأتناول بعض هذه الشُّبه والرد عليها حتى لا ينخدع المسلم بهذه الشُّبه

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٠

(٢) مسلم : الصحيح : (المقدمة ص١٩)

الشبهة الأولى: إن القرآن بين كل شيء:

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

"فهذا يدل على أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين وكل حكم من أحكامه، وأنه بينه وفصله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة النبوية، وإلا كان القرآن مفرطًا، ومقصرًا في البيان، ولَما كان القرآن تبيانًا لكل شيء فيلزم الخلف في خبره تعالي وهو محال"[3].

الجواب على هذه الشبهة:

لكي أوضح سوء فهم الأدعياء والأعداء لظاهر نصوص القرآن الكريم سوف أتعرض لبعض آراء المفسرين لقوله ـ تعالى ـ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ لكي أبين مدى ضلال أصحاب الشبهة.

يقول القرطبي: في قوله ـ تعالى ـ : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ أي في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث وقيلَ: أيَ في القرآن، أي ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول (ﷺ) ، أو من الإجماع أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال: ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

---

(١) سورة الأنعام : الآتية : ٣٨ .

(٢) سورة النحل : الآية : ٨٩ .

(٣) عبد الغني عبد الخالق :حجية السنة ص٣٨٤ .

- عبد الرحمن عتر : معالم السنة النبوية ص٢٤٦ .

obeikandl.com

وقال: ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.[1].

فقد وضح القرطبي المفهوم الصحيح لقوله ـ تعالى ـ : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وأدحض أباطيل الأعداء حول الآية الكريمة.

ويقول الألوسي: "في قوله تعالي: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ عن الحسن وقتادة أن المراد بالكتاب الكتاب الذي عند الله ـ تعالى ـ وهو مشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ، والمراد بالاعتراض حينئذ الإشارة إلى أن أحوال الأمم مستقصاه غير مقصورة على هذا القدر المجمل، وعن أبي مسلم أن المراد منه الأجل، أي ما من شيء إلا وقد جعلنا له أجلاً وهو بالغه ولا يخفى بعده"[2].

فقد بين الألوسي أن المراد بالكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ، أو أجل كل إنسان.

ولابن كثير قول بليغ حول الآية الكريمة حيث يقول: وفي قوله ـ تعالى ـ : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ أي الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحدًا من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريًا أو بحريًا"[3].

وهذا هو الأرجح، وإلا فأين مقادير الزكاة في القرآن؟ وأين تحديد الصلوات؟ وما عدد ركعات كل فريضة ؟ وسننها، وكيفية الحج إلى غير ذلك مما بينته السنة النبوية، مما يبطل هذه الشبهة.

---

(١) ابن عبد البر: الجامع لأحكام القرآن جـ٦، ص٤٢٠

(٢) الألوسي: روح المعاني جـ٥، ص٢١٠-٢١١، ط / دار الكفر - بيروت سنة / ١٩٩٧م.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٢، ص١٨٠ ط / مؤسسة الريان - بيروت لبنان سنة / ٢٠٠١م.

الشبهة الثانية: تكفل الله بحفظ القرآن دون السنة:

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

يدل على أن الله تكفل بحفظ القرآن دون السنة، ولو كانت دليلاً وحجة كالقرآن لتكفل بحفظها[2].

الجواب على هذه الشبهة:

إن كلمة الذكر في الآية الكريمة تمثل محل ما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه (ﷺ) من قرآن أو سنة، فالسنة داخلة في الذكر" لكونها من عند الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[3].

يقول إبراهيم كليب في الرد على هذه الشبهة: "إن الله ـ تعالى ـ كما تكفل بحفظ كتابه، كذلك تكفل بحفظ سنة نبيه (ﷺ) ، لأن السنة مبينة للقرآن ولا معنى لحفظ المبيَّن دون حفظ بيانه"[4].

وهذا رد موضوعي إذ إن حفظ القرآن يتطلب حفظ السنة لأنها مبينة للقرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[5].

الشبهة الثالثة: عدم الأمر بتدوين السنة:

قالوا: - أي أعداء السنة - لو كانت السنة حجة، لأمر النبي (ﷺ) بكتابتها ولعمل الصحابة والتابعون على جمعها وتدوينها، لكن لما ثبت أن النبي (ﷺ) منع من كتابتها وأمر أن يمحى ما كتب منها فكيف تكون حجة ؟[6]

---

(١) سورة الحجر: الآية : (٩)

(٢) مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص١٥٣ ط/ المكتب الإسلامي - بيروت سنة / ١٩٨٥م.

(٣) سورة النجم: الآيتان : ٣ ، ٤

(٤) إبراهيم كليب: مهمات علوم الحديث ص ٧٧

(٥) سورة النحل : الآية : ٤٤

(٦) محمد طاهر حكيم : السنة في مواجهة الأباطيل ص٩٦

openkandil.com

الجواب على هذه الشبهة:

أقـول: هذه الرسالة التي أنا بصـددها تثـبت بما لا شك فيـه بطلان هذه الشبـهة ودحضـها، وذلك لكثـرة الأدلة التي سأوردها بعد قليل تـثبت أن النبي (ﷺ) أمر بتدوين السنة وكتابتها، وقيام كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم- بتدوينها في صحف، أو بكتابتهـا في كتب ورسائل للآخرين إلى مختلف أقطار العالم من ملوك وأفراد وقبائل.

وإن ما ورد من أحـاديث يعتـقد أنها تنهي عـن كتابة السنة فللـعلماء في الحكم على سندها ومـتنهـا أقـوال سوف أوضـحهـا في البـاب الأول من هذه الرسالة، بل هي تثـبت كتابة السـنة وأن ما ورد عن النبي (ﷺ) في أنه أمر أن يمحى ما كـتب من السنة، إنما كان ذلك إذا كان في صـحيفة واحـدة مع القرآن وذلك حتى لا يختلط القرآن بالسنة.

هذا وهناك شبـه غيـر هذه، ولكن اكتفى بهـذا القدر لأبين مـدى حرص أعداء دين الإسلام على التشكيك فيه، ولبـيان أن هذه الشبه واهية لا تثبت عند المناقشـة، وصدق الله العظيم. إذ قال: "بل نقـذف بالحق على الباطل فيدمـغه فإذا هو زاهق"[1].

ويقـول عبـد الرحـمن عـتر: "وهكـذا نرى أن الشبـهـات التي أوردها المستشرقون وأتباعهم شبهات واهية لا تقف أمام البراهين الساطعة وأن محاولات هؤلاء وأولئك للنيل من السنة النبـوية قد باءت بالفشل، ولا تـزال السنة النبوية قائمـة إلى يومنا هذا بفضل من الله سـبحانه وتعـالى ثم بجهود أئمـة الحديث النبوي.. ولن يضير الجبل الشامخ هبـوب الرياح، ولن يضير الشمس في رابعة النهار أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر"[2].

---

(١) سورة الأنبياء : الآية : ١٨

(٢) عبد الرحمن عتر : معالم السنة النبوية :ص ٢٥٤

حقًا إن السنة النبوية شامخة رغم أنف الحاقدين المارقين وما علينا إلا أن نتصدى لهؤلاء لنفوز بشرف الدفاع عن السنة النبوية.

• • •

obeikandl.com

نتائج وفوائد:

وأخلص مما قدمته في التمهيد إلى عدة نتائج وفوائد بيانها كما يلي:

١- إن السنة ينبوع متجدد مثل القرآن فكل يجد فيها رغبته ويستمد منها ما ينشده سواء في ذلك علماء اللغة أو علماء الحديث أو علماء الفقه أو علماء أصول الفقه أو علماء الدعوة.

٢- إن الحديث والسنة مترادفان.

٣- إن مكانة السنة من الإسلام مثل مكانة الروح من الجسد فهي إما مبينة للقرآن أو مثبتة لما جاء به القرآن، أو مفصلة لما جاء مجملاً بالقرآن، أو مزيلة وموضحة ما أشكل في القرآن، أو مخصصة العام في القرآن، أو مقيدة المطلق في القرآن، أو آتية بأحكام مستقلة سكت عنها القرآن. فمكانتها عالية رفيعة.

٤- عموم آيات القرآن الكريم أثبتت حجية السنة، والسنة نفسها وإجماع الفقهاء والعقل والنظر وعصمة النبي (ﷺ)، كل ذلك أثبت حجية السنة النبوية وأنها أصل من أصول الدين.

٥- وقوف السنة شامخة على مر العصور متصدية لكل أعدائها لأنها محفوظة من قبل الله- تعالى-.

• • •

obeikandl.com